خريطة المستقبل
في الحديث النبوي
(أحاديث المبشرات والفتن)

الإصدار الثاني ٢٠٠٩

الأستاذ الدكتور شرف القضاة

كلية الشريعة – الجامعة الأردنية

عمان – الأردن

dsharaf@maktoob.com

هاتف ٩٦٢-٧٧٧٤٩٨٨٣٢

تلفاكس ٩٦٢-٦-٥٢٣٥٨١١

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد ؛

فقد اعتنى الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة بموضوع المبشرات والفتن التي تحدث في المستقبل، واعتنى بذلك الصحابة ومن بعدهم من العلماء، وقد كثر الكلام في أيامنا عن المستقبل، وعما يمكن أن يحدث فيه، وذلك أملا في انحسار الواقع الأليم الذي يعيشه الناس بعامة، والمسلمون بخاصة.

والمتكلمون والكاتبون في ذلك بين مُفْرِط ومُفَرِّط، وبين حالم ويائس، ولكل من الموقفين خطورته، ولا شك أن تقويم ذلك وعلاجه إنما يكون من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

وقد رغب الأخوة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم حفظهم الله أن أكتب في ذلك ولو شيئا يسيرا، وأن أُدَرِّسَه في الدورة الشرعية الرابعة المنوي عقدها في صيف عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م فجزاهم الله خيرا.

وقد قرأت حول هذا الموضوع كثيرا سواء في المصادر القديمة أو الكتب والمقالات الحديثة، ونظرا لضيق الوقت وكثرة الالتزامات فقد كتبت هذا البحث المختصر على عجل آملا أن يكون مما قل ودل، وقد قسمته إلى مقدمة وقسمين:

المقدمة: وفيها الأهداف والأهمية والتاريخ والمصدر والأقسام.

القسم الأول: منهج التعامل مع نصوص المستقبل.

القسم الثاني: أهم النصوص الصحيحة الواردة في ذلك.

ولن يكون حديثنا في هذا البحث عما حدث وانتهى بل عما سيحدث، أو عن أمور حدثت بداياتها، ولكنها لا تزال تتكامل، ولم تنته بعد.

وقد أرفقت ذلك بالتوضيح والتعليق المختصر الذي يناسب المقام، مستعينا بالله تعالى، ومستندا إلى أهم المصادر في الحديث النبوي الشريف وشروحه المعتمدة.

وقد طبعته جمعية المحافظة على القرآن الكريم على شكل مذكرة لطلبتها، ولم تنشره في كتاب لأنه خارج عن موضوع مطبوعاتها التي تخدم القرآن الكريم وعلومه.

ثم راجعت المادة العلمية مرة ثانية، وعدَّلت عليها بعض التعديلات التي يقتضيها المقام، وأضفت عليها بعض الإضافات، فهذه نسخة مزيدة ومنقحة، وهي الإصدار الثاني لهذا الكتاب.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يسدده وينفع به.

والحمد لله رب العالمين

المقدمة

في أحاديث المستقبل

(المبشرات والفتن)

أولا: أهدافها

يهدف الحديث عن أحاديث المستقبل إلى مجموعة من الأهداف أهمها :

١. العلم بجانب من جوانب العقيدة الإسلامية، فإنه يجب على المسلم أن يعتقد بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا صحة لقول بعض المعاصرين: إنه لا يجب الإيمان إلا بالمتواتر، فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرسل الصحابي الواحد إلى منطقة أو قبيلة فيعلمهم العقيدة ثم الأحكام، وقد أجمع كل المؤلفين في العقيدة على مدار التاريخ الإسلامي كله على الاحتجاج بالآحاد في العقيدة. [1].

والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وما أحاديث المستقبل (المبشرات والفتن) إلا مقدمات لليوم الآخر، سواء ما وقع منها وما لم يقع حتى الآن.

٢. تعزيز مشاعر الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، فإن حدوث الأحداث كما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على صدق النبوة، ولذلك وضعها بعض علماء الحديث تحت باب " أعلام النبوة " أي علاماتها.

٣. تعزيز مشاعر الأمل الإيجابية بنصر الله، وأنه مهما طالت الفتن فإنها ليست أبدية، وأن العاقبة للمتقين، دون اتكال وتقصير.

٤. توجيه السلوك نحو الخير، والحث على العمل الجاد الدؤوب لهذا الدين.

---

[1] انظر في هذا الموضوع وفي كل الموضوعات المتعلقة بعلوم الحديث كتاب: المنهاج الحديث في علوم الحديث للدكتور شرف القضاة.

٥. الاستعداد لهذه الفتن، فلا تكون مفاجئة، وهذا يجعلها أقل وقعا وتأثيرا، فلا يفتن الناس بها، ولا تؤدي إلى اليأس والقنوط.
٦. التعريف بالأحاديث الصحيحة في هذا المجال، والتمييز بينها وبين غيرها.
٧. بيان مدى الجهد الذي بذله علماء الحديث في الحفاظ على السنة النبوية وتبليغها، وتعزيز الثقة بدقة المنهج الذي اتبعوه في حكمهم على روايات الرواة، وذلك من خلال تطابق ما صححه الرواة مع الأحداث في الماضي والحاضر والمستقبل.

ثانيا: معناها

المبشرات لغة: الأَخبار التي تُدخِل على النفس البِشْر، وهو الفرح والسرور، فيما وقع، أو ما سيقع.

والفتن لغة: الابتلاءات والمحن التي تميز الجيد من الرديء.

واصطلاحا: الآيات والأحاديث التي تبين ما سيحدث في المستقبل من نعم ومصائب.

ثالثا: أهميتها

أ. العلم بالمستقبل يلبي حاجة فطرية فطر الله الناس عليها، فقد فطر الناس على حب علم المستقبل، وقد جعل الله لذلك طرقا شرعية كالوحي، والرؤيا الصادقة، والاستخارة، وهنالك طرق غير شرعية ولا صحة لها، بل هي من الكذب والاحتيال على الناس، كقراءة الكف والفنجان، والتنجيم ومطالعة البروج.

ب. يتيح للإنسان أن يخطط للمستقبل بصورة أفضل قال تعالى {وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} [٢]، وكما ورد في قصة سيدنا يوسف عليه السلام في التخطيط لخمس عشرة سنة بعد تأويل رؤيا الملك التي عرف من خلالها ما سيحدث

[٢] سورة الأعراف، من الآية ١٨٨.

من جدب، قال تعالى {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ} [٣].

وهو الآن علم يحاول الفصل بين الحقيقة والخرافة، ويسمى استشراف المستقبل [٤]، ولكنه لا يعتمد على حقائق كالحقائق الواردة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل على توقعات مستندة إلى الواقع.

رابعا: تاريخها

بدأت المبشرات والفتن من عهد آدم عليه السلام، واستمر في تاريخ الأنبياء جميعا وفي الكتب السماوية السابقة، فقد بشرهم الله تعالى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنه ما من نبي إلا أنذر أمته المسيح الدجال [٥].

وأما في الإسلام فقد بدأ عصر المبشرات والفتن والتعامل معها منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، مرورا بعصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فقد ورد بعض ذلك في القرآن الكريم، وبعضه في السنة النبوية، وقد كان بعض الصحابة متخصصا في ذلك وعلى رأسهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ولذلك اختاره النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الصحابة ليخبره بأسماء المنافقين.

خامسا: مصدرها

استشراف المستقبل إما أن يكون من أَمارات يدركها العقل من خلال السنن " القوانين " الطبيعية أو الإنسانية التي وضعها الله تعالى، وليس هذا موضوعنا، أو من خلال الوحي، وبخاصة السنة الصحيحة، فالمصدر الوحيد للمبشرات والفتن ولعلامات الساعة الكبرى هو

---

[٣] سورة يوسف، الآية ٤٧.

[٤] أشرفت قبل سنوات على رسالة ماجستير في الحديث في الجامعة الأردنية بعنوان (استشراف المستقبل في السنة النبوية).

[٥] صحيح البخار ي، كتاب الأنبياء، رقم الحديث ٣٣٣٧.

القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، فلا يمكن استنباط ذلك من خلال مقدمات، فعلامات الساعة الكبرى كثير منها من خوارق العادات، بها يبدأ انفراط نظام الكون وقوانينه.

ولذلك لا يصح شرعا ولا عقلا أن يكون مصدر ذلك نبوءات لمن لا يوحى إليه، لا من خلال النجوم والبروج، ولا من غيرها، ومن ادعى ذلك فهو من الكهان والعرافين، وفي ذلك نستذكر حديث " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً [٦] " هذا إذا لم يصدقه، أما إن صدقه فالأمر أشد خطورة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٧].

سادسا: أقسامها

تنقسم أحاديث المبشرات والفتن إلى عدة أقسام كما يلي :

١. بشارات وانتصارات.
٢. فتن بين المسلمين وابتلاءات، وحالات ضعف ومرض تصيب الأمة.
٣. صراعات كبرى بين المسلمين وغيرهم.
٤. علامات الساعة، وهي قسمان: كبرى وصغرى، ونحن الآن في نهاية الصغرى وعلى أبواب الكبرى، والله أعلم.

[٦] صحيح مسلم، كتاب السلام، رقم الحديث ٢٢٣٠.

[٧] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم ٩٢٥٢، صححه ابن حجر وغيره.

القسم الأول

منـهج التعامل

مـع

أحاديث المستقبل (المبشرات والفتن)

منهج التعامل مع أحاديث المستقبل (المبشرات والفتن)

للتعامل مع أحاديث المبشرات والفتن منهج صحيح، بعضه عام في كل الأحاديث، وبعضه خاص في أحاديث المبشرات والفتن، فما هو المنهج الصحيح في ذلك؟

للحديث النبوي الشريف جانبان، ولكل جانب منهما أصول علمية:

الجانب الأول: ثبوت الحديث، أي صحة الحديث.

والجانب الثاني: دلالة الحديث، أي فهمه فهما صحيحا.

فإنه لا بد للحديث من أن يكون صحيحا، وأن يكون فهمه أيضا صحيحا.

وهذه أهم النقاط في ثبوت الحديث:

١. التثبت من صحة الحديث، فلا بد أن يكون الحديث صحيحا لذاته أو لغيره، أو حسنا لذاته أو لغيره، ولا يقبل الحديث الضعيف أو الموضوع، ولذلك لا يجوز الاعتماد على بعض كتب الحديث الضعيفة ككتاب " الفتن " لنعيم بن حماد، فنعيم كثير الخطأ وبخاصة في أحاديث الفتن، وبخاصة ما انفرد به [٨].

٢. أن يكون الحديث مرفوعا، أما الموقوف والمقطوع [٩] فربما كان من الإسرائيليات، أي من المعلومات الواردة عن بني إسرائيل، ومعلوم أن كتبهم ومصادرهم محرفة، ولا يمكن الوثوق بها، كما لا يمكن التمييز بين ما حرف وما لم يحرف، علما بأن ما لم يحرف قليل جدا، كما يؤكد الباحثون الغربيون أنفسهم.

---

[٨] كثيرا ما تنتشر أحاديث واهية (أي ضعيفة جدا) بين الناس، وربما بين طلبة العلم، ويقولون إن الواقع يؤكدها، وهذا لا يصح، فلئن كان الواقع كافيا لتقوية الحديث الضعيف ضعفا يسيرا، فإنه لا يكفي لتقوية الأحاديث الواهية والموضوعة.

[٩] المرفوع من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أما الموقوف فهو من كلام الصحابي، وأما المقطوع فهو من كلام التابعي.

٣. يقبل من الموقوف ما له حكم المرفوع، ومنه أن يكون مما لا مجال للرأي فيه كأحاديث المبشرات والفتن، بشرط أن يكون عن صحابي لم يأخذ عن أهل الكتاب، وذلك مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال " اللهم لا تدركني سنة ستين، ولا إمارة الصبيان " ففيه إشارة إلى أن أول إمارة الصبيان تكون سنة ستين، وهو كذلك فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها [١٠]، فإنه مما لا مجال للرأي فيه.

٤. اعتماد الآحاد الصحيح أو الحسن، ولا يشترط التواتر، ولا يصح أن يقال: إنه لم يرد ذكره في القرآن الكريم، فقد أمر القرآن الكريم باتباع السنة، فقال تعالى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [١١] وهذا يكفي.

٥. ترد الأحاديث التي تحدد تاريخا معينا لحدوث أمر معين، فذلك من علامات الحديث الموضوع، وحسب علمي لم يثبت في ذلك إلا حديث واحد وهو قول أبي هريرة السابق، ومع ذلك ففيه روايات بعضها " رأس السبعين " بدل الستين.

٦. لا يُرَدُّ الحديث الصحيح إذا خالف الرأي، ولا أقول إذا خالف العقل، والفرق بينهما كبير جدا، فكل المعجزات للأنبياء إنما هي من خوارق العادات، أي مما لم يتعود عليه الناس، ولكنها ليست من خوارق العقل، أي ليست مما يرفضه العقل، والناس يخلطون بين الأمرين [١٢]، وفي المبشرات والفتن شيء من الخوارق، فالمهم أن لا يكون من المستحيل عقلا، أما المستحيل عادة فلا حرج فيه.

٧. اختلاف الروايات الصحيحة في التفاصيل لا يرد أصل الحديث، بل يؤكده ويقويه، كما في اختلاف بعض الروايات في بعض التفاصيل للدجال، وهل العور في عينه اليمنى أم

---

[١٠] انظر فتح الباري لابن حجر ١٠/١٣.

[١١] سورة الحشر، من الآية ٧.

[١٢] لو أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان يطير في الهواء كما تطير الطيور لكان هذا شيئا عاديا لا ترفضه العقول، فهذا من المستحيل عادة لا عقلا، أما من يقول كالنصارى: إن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، فهذا ليس مستحيلا عادة بل هو مستحيل عقلا، ولذلك فإنك لو أخذت من طفل صغير في السنة الأولى من عمره، لم يتعلم الحساب بعدُ، لو أخذت منه ثلاثة قطع من الحلوى ثم أعدت له واحدة لما قبل ذلك، لأن ذلك مستحيل عقلا لا عادة.

اليسرى، أم فيهما، ومثال ذلك لو أن النشرات الإخبارية قالت: إن طائرة تابعة للشركة الفلانية سقطت في المكان الفلاني، ثم اختلفت الروايات في عدد الركاب أو القتلى أو الجرحى، فهل يقول قائل اختلفت الروايات فالطائرة لم تسقط، كلا بل إن تعدد الروايات بسقوط الطائرة يزيد الخبر قوة، حتى وإن اختلفت الروايات في الأعداد.

٨. إذا تعارضت الأحاديث الصحيحة فينبغي الجمع والتوفيق بينها أولاً قبل اللجوء إلى الترجيح.

فمثلا لا يقال: إن حديث " لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم " يتعارض مع أحاديث ظهور المهدي ونزول عيسى عليهما السلام، لأن عصرهما أفضل مما قبلهما، بل نحاول التوفيق بحيث نأخذ بالحديثين الصحيحين معا، فنقول مثلا: إن الحديث الأول هو القاعدة العامة، وإن الثاني يمثل الاستثناء من القاعدة، وهكذا.

الجانب الثاني: دلالة الحديث، وهذه هي أهم النقاط في ذلك:

١. عدم تحميل النصوص ما لا تحتمل من المعاني، فالأصل في الحديث أن يكون على الحقيقة، ولا يصرف إلى المجاز إلا بقرينة كافية، فلا يقال في أحاديث نزول المسيح عليه السلام المقصود انتهاء الحروب وانتشار السلام، لأن نزوله فيه من التفصيلات ما لا يمكن أن يفسر بالسلام، فقد ذكرت الأحاديث الصحيحة لونه، وصفات شعره، وأين ينزل، وكيف ينزل، وهكذا.

ولا يقال في أحاديث الدجال المقصود طغيان الحياة المادية، فقد وردت في صفات الدجال صفات جسدية تفصيلية، فهو مثلا أجعد الشعر، فكيف تكون الحياة المادية ذات شعر أجعد، و هو أسمر اللون فهل الحياة المادية اليوم التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا سمراء اللون؟.

سمعت أن أحدهم في السبعينيات من القرن العشرين ادعى في الأردن أن الأمير الحسن بن طلال – وكان وليا للعهد آنذاك – هو المهدي المنتظر، فلما قيل له: إن اسم المهدي هو: محمد بن عبد الله وليس الحسن بن طلال قال: اسم " محمد " هل هو حسن أم لا ؟ قيل لا شك أنه اسم حسن، قال: هذا هو الاسم الأول، وأما ابن عبد الله فإن جد الأمير حسن اسمه عبد الله، وربما نُسب الإنسان إلى جده.

فلا شك أن هذا نموذج من التلاعب بالألفاظ، ونوع من التملق والتزلف لأولياء الأمر.

٢. فهم الحديث في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية الثابتة، فلا يصح فهمه بما يخالف ما فيهما.

٣. عدم فهم الحديث من خلال قناعات سابقة لا دليل من النصوص عليها، كأن يكون لتسويغ واقع معين أو رفضه، ومثال ذلك أنه انتشرت سنة ١٩٩٠م بعد غزو صدام حسين للكويت أحاديث على ألسنة الناس، وفوجئت يوما وأنا في محاضرة للدراسات العليا لطلاب الحديث أن بعضهم يقول: توجد أحاديث ضعيفة لكن الواقع يصدقها، فقلت لهم: حتى طلاب الحديث انطلت على بعضهم الإشاعات، فما كان مني إلا أن كلفتهم بالبحث عنها وتخريجها وبيان درجتها، وفي المحاضرة التالية سألتهم: ماذا وجدتم؟ فقالوا: لم نجد شيئا، ولكن أحدهم وجد قصيدة لابن عربي يصف فيها بعض ما يكون بين المسلمين وغيرهم، ويقول فيها: فويل لهم من صارم، فقرأها بعض المهوسين صادم، وقالوا صادم يعني: صدام.

وهكذا حرفوا القصيدة، وجعلوها حديثا نبويا، وهكذا يفعل الهوى بأصحابه.

٤. عدم الجزم بإنزال الحديث على واقعة معينة إلا إذا كان الأمر في غاية الوضوح ولم يختلف فيه العلماء، فإن اختلفت فيه أنظار العلماء فلا ينبغي الجزم به، بل ينبغي القول: ربما يكون المقصود بالحديث هو كذا.

٥. عند إسقاط الحديث على الواقع لا بد أن يكون ذلك من شخص :

- عالم بالأحاديث، والفهم التكاملي لها، والتوفيق بينها عند الحاجة.
- عالم بالواقع، فالأمر ربما يختلف من مكان إلى آخر، فبعض الناس لم يغادر بلده أبدا، فيظن أن كل العالم كبلده، من حيث العادات والتقاليد، أو يظن أن كل البلاد العربية أو الإسلامية كبلده، فينبغي التنبه لذلك وعدم التعميم.
- معتدل في النظرة إلى الأمور، غير متسرع في الحكم، فإن الإنسان غير المعتدل في التفكير تكون آراؤه غير صحيحة غالبا.

٦. عدم فهم الأحاديث على أنها قدر لا تجوز مقاومته، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا

فَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ [13]، فالحديث يحث على ترك أمر عامة الناس عند تغَيُّرِ الناس، وقد بدأ ذلك التغير في عهد الصحابة، فهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول بعد حديث الأمانة الذي فيه " فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ " قال حذيفة: وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا [14].

وازداد التغير بعد الصحابة والتابعين، ولقد ظن العلماء في كل عصر أن ذلك قد تحقق في عصرهم، ولكن لم يقل أحد منهم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد انتهى، بل فهموه على أنه ما دام المسلم يجد من يمكن أن يسمع منه فيجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وإنما مثل الفتن كمثل احتلال اليهود فلسطين، بل هي منها، فهل يقول عاقل: ذلك قدر الله ويجب أن لا نقاومه ؟ كلا، بل نقول: إن الجهاد والمقاومة من قدر الله، بل هو ذروة سنام هذا الدين، وهو ماض إلى يوم القيامة.

١٠. الحكمة في اختيار ما يناسب المقام لتحديث الناس به، فلا يركز على أحاديث المبشرات وحدها، فإن ذلك ربما يقعد الناس عن العمل، ولا يركز على أحاديث الفتن وحدها فإن ذلك ربما يدخل اليأس إلى القلوب، ولذلك فقد اخترت لهذا الكتيب عنوانا متوازنا جمع بين المبشرات والفتن.

---

[13] سنن أبي داود، كتاب الملاحم، رقم الحديث ٤٣٤٢، وصححه ابن حجر ٣٩/١٣ وغيره.

[14] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، رقم الحديث ٦٤٩٧.

القسم الثاني

أهم النصوص في المستقبل (المبشرات والفتن)

جاءت أحاديث المبشرات والفتن أكثر كمالا ووضوحا في السنة النبوية، بينما ذكر بعضها سريعا في القرآن الكريم، ولذلك سنستعرضها من خلال مجموعة من الأحاديث النبوية في المصادر الرئيسية، لأن أحاديث المبشرات والفتن تزيد على ألف حديث في كافة المصادر، ولا يتسع المقام لذلك، لكنني سأحاول أن أذكر أهم الأحاديث الصحيحة، وبخاصة التي تغني عن غيرها.

وقد خطر ببالي أن أقطع الحديث الواحد – وبخاصة إن كان طويلا – إلى أجزاء وأضع كل جزء تحت العنوان المناسب، ولكنني عدلت عن ذلك لأن بعض هذا التقسيم اجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، فآثرت أن أبقي كل حديث كما هو، وأضع الحديث في أكثر الموضوعات مناسبة، وإن كانت فيه أجزاء تدخل تحت عناوين أخرى، والله الموفق.

١. اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالمستقبل:

عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ [١٥].

٢. اهتمام الصحابة بالمستقبل:

عن حُذَيْفَةَ بْن الْيَمَانِ رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ نَعَمْ [١٦]، قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ نَعَمْ [١٧] وَفِيهِ دَخَنٌ [١٨]، قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ

---

[١٥] صحيح مسلم، رقم ٥١٤٧.

[١٦] إشارة إلى فتنة قتل عثمان رضي الله عنه وما بعدها.

[١٧] انتهاء الفتنة، واجتماع المسلمين على خليفة واحد.

[١٨] أي خير غير صافٍ.

وَتُنْكِرُ [19]، قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ [20]، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا [21]، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا [22]، قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ تَلْزَمُ [23] جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ [24]، قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ [25] قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا [26]، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ [27]، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ [28].

---

[19] إشارة إلى بداية الانحراف عن منهج الإسلام.

[20] كناية عن الجهر بالدعوة إلى غير الإسلام ومنهجه القويم، وقد رأينا ذلك في عصرنا من خلال الأحزاب الشيوعية والقومية الملحدة، ومن خلال الدعوة الصريحة إلى المحرمات والفساد.

[21] منا نحن المسلمين.

[22] يدَّعون الإسلام وينحرفون عنه مخادعة ومكرا.

[23] هذا من أدلة وجوب الالتزام بجماعة المسلمين، ووجه الدلالة قوله " تلزم" وأن ذلك جوابا عن قول الصحابي " فما تأمرني " فهو أمر، وكلاهما يقتضي الوجوب، ويكفي في الدلالة على وجوبها قوله صلى الله عليه وسلم " مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً " أي مات على معصية.

[24] لجماعة المسلمين شرطان يؤخذان من اسمها:

الأول: أنها جماعة، أي تنظيم له قيادة وفيه سمع وطاعة في المعروف، فلا يسمى المذهب العقدي أو الفقهي جماعة لأنه ليس تنظيما.

الثاني: أنها إسلامية، وذلك من حيث فهمها الشمولي للإسلام، ومن حيث الأهداف والوسائل، ومن حيث العقيدة والسلوك، وليس معنى ذلك أن أفرادها لا يقعون في ذنب، فهناك فرق بين الانحراف الفردي وانحراف الجماعة.

[25] هذا افتراض، والافتراض يمكن أن يجاب عنه حتى لو كان مستحيلا، كما في قوله تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (الانبياء:٢٢) ويمكن أن يكون ذلك في مكان دون مكان، أما أن لا تكون جماعة إطلاقا فهذا مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لا يضرهم من خالفهم.. الحديث "

[26] أي الفرق غير الإسلامية كاليسارية والقومية.

[27] كناية عن شدة التمسك بالأمر مع ما فيه من مشقة.

[28] صحيح البخاري، رقم ٦٥٥٧.

بعض العلامات الصغرى

٣. تكالب أمم الكفر على المسلمين:

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ[٢٩].

فهذا هو التشخيص الدقيق لحال الأمة اليوم، إن السبب في ضعفهم هو حب الدنيا وكراهية الموت، فعلى الأمة أن تعي ذلك، وأن تتخلص من هذا الداء القاتل، وقد بدأت الأمة تعي ذلك وتتخلص منه، فقد رأينا شبابها في فلسطين وغيرها يتنافسون على الجهاد، ويتسابقون إلى الشهادة في سبيل الله تعالى، والحمد لله.

٤. كثرة القتل:

عن عَبْدِاللَّهِ وَأَبِي مُوسَى رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ [٣٠] فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ [٣١].

أعتقد أن نزول الجهل قد كان واضحا في بلادنا في نهاية الدولة العثمانية، حيث كنت لا تكاد تجد في كثير من القرى من يقرأ ويكتب، وكان الجهل في الأحكام الشرعية قد بلغ مداه، وقليل من الناس من يقيم الصلاة، ثم بدأت الأمة تصحو وتتعلم وتلتزم، ونسأل الله تعالى أن يستمر ذلك حتى تكتمل الصحوة والعلم والالتزام.

وأما القتل فلقد قامت في عصرنا حروب عالمية، وكثر القتل في أنحاء كثيرة من العالم، وبخاصة العالم الإسلامي، وربما كانت كثرة القتل في عصرنا لسببين:

---

[٢٩] سنن أبي داود، رقم ٤٢٩٧، ترقيم محي الدين، صححه شعيب الأرناؤوط والألباني.

[٣٠] أي يزول.

[٣١] صحيح البخاري، رقم ٦٥٣٨، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

الأول: تقدم وسائل المواصلات، حيث سهل ذلك على الدول الكبرى الاستعمارية الوصول إلى الدول الضعيفة.

الثاني: اختراع أسلحة الدمار الشامل، حيث يتم في دقائق القضاء على عشرات الآلاف، كما حدث في مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين في الحرب العالمية الثانية على يد الولايات المتحدة الأمريكية داعية حقوق الإنسان.

٥. انتشار الفواحش:

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُوَ الزِّنَا، وَتُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةٍ قَيِّمٌ وَاحِدٌ [٣٢].

لقد فشت الفواحش في القرن العشرين بشكل لم تشهده من قبل، حتى وصل ذلك إلى بلاد المسلمين، وقد أصبح هذا في كثير من الأحيان علنيا أو شبه علني، وانتشر العري والشذوذ، وأصبح ذلك من سياسات بعض الدول المعلنة بحجة ما يسمى " صناعة السياحة " التي تحتاج فيما يزعمون إلى تأمين كل احتياجات السياح الشرعية وغير الشرعية، بل أصبح ذلك يفرض على الدول من خلال اتفاقيات دولية كاتفاقية (سيداو) وهي: اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، ومن أهم ما تتضمنه هذه الاتفاقية:

- حرية اختيار الجنس، وتغييره.
- حرية الشذوذ الجنسي، والاعتراف بهما زوجين.
- حرية سكن الفتاة أو الزوجة أينما تشاء، ومع من تشاء دون إذن الأب أو الزوج، وكذلك السفر أينما تشاء دون إذن أحد.
- حرية زواج الفتاة ممن تشاء ولو كان يهوديا أو مسيحيا أو وثنيا أو ملحدا.

---

[٣٢] جامع الترمذي، رقم ٢١٣١، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه ابن عساكر والألباني.

وإن الدول الآن تساق سوقا بكافة أشكال الضغط للتوقيع على هذه الاتفاقية، ولرفع التحفظات عن بعض البنود التي تحفظت عليها بعض الدول.

ويجب على الدول أن تعدل دساتيرها وقوانينها بما ينسجم مع هذه الاتفاقية.

ولا يخفى ما في ذلك من الفساد الأخلاقي.

أما قلة الرجال فهذا والله أعلم نتيجة لكثرة الحروب، وربما كانت هذه النسبة غير عامة بل في مكان دون مكان.

٦. إسناد الأمر إلى غير أهله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ [٣٣].

ولا شك أن إسناد الأمر إلى غير أهله قد وصل في العالم الإسلامي إلى مستويات قياسية لم تسبق، وذلك في كافة المجالات، وبالرغم من الشعار المرفوع وهو: الإنسان المناسب في المكان المناسب، فإنك قلما تجد الشخص المناسب في المكان المناسب، ويبدو أن ذلك سيستمر، بل وسيزداد.

٧. انقلاب الموازين:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ [٣٤].

نعم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه يصف عصرنا وصفا دقيقا، فلطالما صُدِّقَ المتاجرون بقضايا الأمة، وكُذب الحريصون عليها، ولا زلت أذكر كيف كان الشيوعيون

---

[٣٣] صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم ٥٩.

[٣٤] مسند أحمد، رقم الحديث ١٢٨٨٥، وقال ابن حجر: سنده جيد، فتح الباري ٨٤/١٣.

الذين يدورون في فلك روسيا يسمون أنفسهم " الشرفاء " ويصفون الإسلامين بـ " العملاء " وهكذا.

ونرى اليوم كيف اختلت الموازين، فلا يُسأل عن دين القيادات الإعلامية أو التربوية ولا غيرها، بل إن بعضهم يستعجل المناصب بمعاداة الدين وأهله، فترى النكرات والجهلة يتكلمون في شؤون الناس، ويوجهون الأمة.

٨. خسف ومسخ بين المسلمين لاستحلال المحرمات:

عن أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه، وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِي، سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ [٣٥] الْحِرَ [٣٦]، وَالْحَرِيرَ [٣٧]، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ [٣٨]، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ [٣٩]، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمْ اللَّهُ [٤٠]، وَيَضَعُ الْعَلَمَ [٤١]، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [٤٢].

هذا الحديث من أحاديث تحريم المعازف، وهي الموسيقى، وقد قال ابن حزم: إن الحديث معلق، والمعلق ضعيف، وتبعه على ذلك بعض الفقهاء قديما وحديثا، والصواب أن الموسيقى حرام لما يلي :

أ. الحديث ليس معلقا، بل يرويه البخاري عن هشام بن عمار وهو شيخ البخاري، ولذلك لم يضعفه علماء الحديث، إنما ضعفه بعض الفقهاء، وهم ليسوا أهل التخصص.

---

[٣٥] الاستحلال قسمان: استحلال نظري، أي يقولون: إنه حلال بالرغم من أنه حرام، واستحلال عملي، أي يعلمون أنه حرام ولكنهم يمارسونه.

[٣٦] الراجح أنه الزنا، يسمونه بغير اسمه.

[٣٧] المراد به الحرير الطبيعي، وهذا بالنسبة للرجال.

[٣٨] الموسيقى، ولم تستثن الأحاديث إلا الدف.

[٣٩] العَلم: الجبل.

[٤٠] يخسف بهم.

[٤١] يدك الجبل.

[٤٢] صحيح البخاري، كتاب الأشربة.

ب. لو كان الحديث معلقا، فهو معلق بصيغة الجزم.

ت. روي الحديث نفسه متصلا في مصادر أخرى.

ث. صحت في تحريم الموسيقى عدة أحاديث أخرى [٤٣].

وهذا الحديث يحذرنا من خسف ومسخ يقع في هذه الأمة، وذلك بسبب المعاصي التي يجهر بها الناس ويجتمعون عليها، بل قد تقام لها الاحتفالات والمهرجانات.

٩. خسف ومسخ في البصرة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: يَا أَنَسُ إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا [٤٤]، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ الْبَصْرَةُ أَوْ الْبُصَيْرَةُ، فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا أَوْ دَخَلْتَهَا فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا وَكِلَاءَهَا [٤٥] وَسُوقَهَا وَبَابَ أُمَرَائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ [٤٦].

١٠. بيع الدين بالدنيا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا [٤٧].

إذن تصبح الدنيا أهم عند بعض الناس من الدين، وتذكروا مثلا فترة الانتخابات، وكيف يعطي كثير من الناس أصواتهم للشعارات الإقليمية أو القبلية دون نظر إلى الدين، وتذكروا كيف يضع الناس أموالهم في البنوك الربوية، وهكذا.

---

[٤٣] انظر كتاب: أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان، لعبد الله الجديع.

[٤٤] ينشئون مدنا.

[٤٥] السباخ: الأرض الملحة، والكلاء: موضع الكلأ وهو العشب.

[٤٦] سنن أبي داود، كتاب الملاحم، رقم ٤٣٠٧. ورجاله ثقات، وصححه الألباني.

[٤٧] صحيح مسلم رقم ١٨٦.

١١. فتح القسطنطينية وروما:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنها قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا، يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ [٤٨].

والفتح يمكن أن يكون بغير القتال، فقد سمى الله صلح الحديبية فتحا مبينا، قال الله تعالى {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} وقد فتحت القسطنطينة (استانبول) أول مرة، وستفتح مرة أخرى كما سيأتي، ولا شك أن روما ستفتح أيضا.

١٢. الوحوش تكلم الناس:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ [٤٩].

ربما كان المقصود في بعضها تقدم العلم، فها نحن في عصر الهواتف الخلوية، ولا ندري إلى ماذا سيتطور الأمر، وربما كان الأمر من قبيل الخوارق التي تحدث في آخر الزمن، وبخاصة تكليم الوحوش للناس.

ولا يقال في مثل ذلك كما سمعت من بعض المدعين للعلم والعقل: إن هذا غير معقول، لأن الحيوانات ليس لها أوتار صوتية.

والجواب عن مثل هذا الكلام: إذا صح الحديث فليس فيه ما يعارض العقل، بل كل ما فيه أنه يعارض ما تعود الناس عليه فقط، والدليل على ذلك قوله تعالى {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ

---

[٤٨] مسند أحمد، مسند المكثرين ٦٦٠٧، صححه أحمد شاكر والألباني.

[٤٩] جامع الترمذي، كتاب الفتن، رقم ٢١٨١، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه البيهقي والألباني.

وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون} [٥٠]، وقوله تعالى {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [٥١].

فهل للأيدي والأرجل والجلود أوتار صوتية؟ بل هل للمذياع والتلفاز والحاسوب أوتار صوتية؟

١٣. البَرَكة في الشام واليمن، والفتن في نجد:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَفِي نَجْدِنَا، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ [٥٢].

فقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أفضل مكان نعيش فيه في آخر الزمن، والمراد بنجد هنا هي نجد المعروفة، وهي تقع شرق الحجاز، ولا يصح أن يقال: إنها العراق لإن النجد المرتفع من الأرض، فالذين قالوا " نجدنا " إنما أرادوا المكان الذي كان يسمى بذلك، فالعبرة بالاسم لا بالمعنى اللغوي، وحتى " نجد " المعروفة أرض مرتفعة بالنسبة للحجاز، وليس في الحديث ذكر للعراق، ولم يكن يومئذ من العراق مسلمون، كما أن العراق ليست شرق المدينة، بل هي أقرب إلى شمال الحجاز منها إلى الشرق.

وطلوع قرن الشيطان بها كناية عن فتن شديدة تحدث فيها، فالقرن كناية عن القوة، ولا شك أن من أول تلك الفتن الشديدة خروج مسيلمة الكذاب فيها.

---

[٥٠] سورة يس، الآية ٦٥.

[٥١] سورة فصلت، من الآية ٢١.

[٥٢] صحيح البخاري، رقم ٦٥٦٥.

١٤. متطرفون يقتلون المسلمين ويتركون الكافرين:

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ [٥٣]، يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [٥٤].

وفي هذا الحديث يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج قوم صغار الأعمار، يرددون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، لكنهم لا يفهمونها حق الفهم، بل هم سفهاء العقول، ليس عندهم علم حقيقي ولا حكمة، يغالون في فهمهم وتطبيقهم للإسلام، فهم متشددون جدا في أمور، ومتساهلون جدا في أمور أخرى، فهم أكثر صلاة وصياما حتى من الصحابة رضي الله عنهم (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِم) [٥٥]، ولكن لا يترك ذلك التزاما حقيقيا بالدين، ولا يعني فهما سليما للإسلام، فما أسهل تفسيق المسلمين عندهم وتضليلهم، بل وتكفيرهم وقتلهم، وفي الوقت نفسه يتركون أهل الكفر (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَان) [٥٦]، فليس عندهم وعي حقيقي، ولا أولويات.

وقد ظهرت بداية هؤلاء المغالين المتطرفين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الحادثة المشهورة التي أعطى فيها النبي صلى الله عليه وسلم مالا لبعض زعماء العرب يتألف به قلوبهم (فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟ قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، ... ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ [٥٧] هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ

---

[٥٣] أي: من قول خير البرية، وهو القرآن والسنة.

[٥٤] صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم ٣٦١١، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٦.

[٥٥] صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم ٣٦١٠، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٤.

[٥٦] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٤، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٤.

[٥٧] من نسله.

كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ [٥٨].

ثم جاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم من تنطبق عليه هذه الأوصاف، ولقد وجد الصحابة رضي الله عنهم أن هذه الصفات تنطبق على الخوارج.

وربما ظن كثيرون أن ذلك أمر انتهى منذ زمن طويل، ولكن الحديث يبين أن هذا الصنف من الناس يتوالى خروجه جيلا بعد جيل حتى تقوم الساعة، ويكون في آخرهم الدجال، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمْ[٥٩] الدَّجَّالُ [٦٠].

فهذا النمط من الناس يخرجون أكثر من عشرين مرة، كلما قضي عليهم في مرة وظن الناس أن أمرهم قد انتهى ظهروا مرة أخرى، حتى يكون في آخرهم الدجال.

١٥. كثرة الفتن وتنوعها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ [٦١]، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ [٦٢]، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ [٦٣]، حَتَّى يُهِمَّ

---

[٥٨] صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم الحديث ٤٣٥١، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، رقم الحديث ١٠٦٤.

[٥٩] عراضهم: جيشهم.

[٦٠] سنن ابن ماجه، المقدمة، رقم ١٧٤، ومسند أحمد، مسند المكثرين، رقم ٢٧٧٦٧، و ٢٧٨٦٦٤، وغيرهما، صححه شعيب الأرناؤوط، وحسنه الألباني.

[٦١] موقعة الجمل وصفين بين الصحابة رضي الله عنهم جميعا.

[٦٢] لعل من معانيها تسارع الأحداث، وتقدم وسائل المواصلات، ونزع البركة من الوقت.

[٦٣] لأن الأرض تخرج كنوزها، كما سيأتي.

رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ [٦٤] لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ [٦٥]، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ [٦٦]، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ يَعْنِي آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [٦٧] وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ [٦٨] فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ [٦٩] حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا [٧٠].

أي أن الساعة تأتي فجأة، فلا يجوز تصديق من يدعي علم زمان حدوثها بأية طريقة كانت.

١٦. بأس المسلمين بينهم:

عن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ [٧١] فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا [٧٢].

---

[٦٤] لا حاجة.

[٦٥] يتفاخر، والمراد كثرة ذلك وانتشاره حتى بين الحفاة العالة.

[٦٦] من شدة الفتن في الدنيا.

[٦٧] سورة الأنعام، من الآية ١٥٨.

[٦٨] ذات اللبَن.

[٦٩] يُصْلِحُ.

[٧٠] صحيح البخاري، رقم ٦٥٨٨

[٧١] القحط والجوع، فلا تهلك الأمة كلها بذلك، أما أن يهلك بعضها فممكن.

[٧٢] صحيح مسلم، رقم ٥١٤٥.

فمشكلة المسلمين أن بأسهم بينهم، فعلى المسلم الواعي أولاً أن لا يشارك في إثارة الخلافات بين المسلمين، وعليه ثانيا أن يوحد الجهود، ويركز في دعوته على ما يجمع المسلمين، لا على ما يفرقهم، ورحم الله من قال: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

١٧. عودة جزيرة العرب مروجا وأنهارا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا [٧٣].

فقد كانت الجزيرة العربية بساتين وغابات وأنهارا، وهذا ثابت علميا، وما الكميات الهائلة من البترول فيها إلا دليلا على ذلك، وفي هذا إعجاز بالإخبار عن الماضي البعيد الذي لم يكن العرب يعرفونه.

وستعود الجزيرة العربية قبل قيام الساعة مروجا وأنهارا، وها هي قد بدأت تعود، فقد اكتشفت فيها خزانات مائية عملاقة، وبدأ الناس يستغلونها في الزراعة بمساحات واسعة يراها الذي يركب الطائرة، ويراها المسافرون برا كذلك.

وفي حديث آخر يذكر النبي صلى الله عليه وسلم منطقة تبوك بالتحديد، فعن معاذ بن جبل قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ ... ثُمَّ قَالَ إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ، فَجِئْنَاهَا ... قَالَ ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، أَوْ قَالَ غَزِيرٍ، حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا [٧٤].

---

[٧٣] صحيح مسلم، رقم ١٥٧.

[٧٤] صحيح مسلم، رقم ٧٠٦.

١٨. يحسر الفرات عن جبل من ذهب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو [٧٥].

الأصل في ذلك الحقيقة، أي الذهب الأصفر ولا يقال فيه: إن الذهب هنا هو النفط، فالقاعدة فهم الكلام على الحقيقة كما ذكرنا في المقدمة، والنفط ذهب مجازا، كما لا يقال عن النفط جبل، وهل يتقاتل الناس على حقل نفط؟ وكم سيأخذ منه؟ فالأولى أن يفهم على أنه جبل من الذهب الأصفر يقتتل الناس عليه، ليأخذ كل منهم ما استطاع منه ثم ينطلق.

كما أن الأصل في العدد الحقيقة، وقيل الكثرة.

١٩. تمني الموت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ [٧٦].

أي من شدة البلاء في الدنيا وما فيها من مصائب.

٢٠. هدم الكعبة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ.

وفي رواية: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا [٧٧].

---

[٧٥] صحيح مسلم، رقم ٥١٥٢.

[٧٦] صحيح مسلم، رقم ٥١٧٦.

[٧٧] صحيح البخاري، كتاب الحج، رقم الحديث ١٥٩١، ١٥٩٥.

قال ابن حجر: فينتظم من ذلك – أي من الروايات – أن الحبشة إذا خربت البيت خرج عليهم القحطاني فأهلكهم [٧٨].

وهذا كله بعد أن تأخذ الريح الطيبة أرواح المؤمنين جميعا قبيل قيام الساعة، والله أعلم.

٢١. كثرة موت الفجأة:

عن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مِنْ أَشْرَاطِ الساعةِ موتُ الفجأةِ، وأَنْ يُرى الهلالُ ابنَ ليلةٍ كأنَّه ابنُ ليلتين [٧٩].

لا شك أنه قد كثر موت الفجأة، ومن أسباب ذلك حوادث السيارات والطائرات، ومن أسبابه كثرة السكتات القلبية والدماغية وهي من أمراض العصر الحديث.

وأما موضوع الهلال فقد سمعت من الدكتور زغلول النجار أن ذلك بسبب تباطؤ دوران الأرض حول نفسها، فمن المعلوم أن الأرض كانت أسرع مما هي عليه اليوم بعدة مرات، وهي تتباطأ شيئا فشيئا.

ويبدو أن لذلك علاقة بطلوع الشمس من مغربها كما سيأتي، والله أعلم.

٢٢. هجرة صالحي العراق إلى الشام:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَحَوَّلَ خِيَارُ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَيَتَحَوَّلَ شِرَارُ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ [٨٠].

ينبغي عدم إنزال مثل هذه الأحاديث على الواقع في كل زمن، فهذا يحدث في زمن معين، وقد يكون الأمر في زمن آخر على عكس ذلك.

---

[٧٨] فتح الباري ١٣/٧٨.

[٧٩] رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥/٢١٣، رقم ٥٧٧٤.

[٨٠] مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم الحديث ٢١٦٤١، وإسناده حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

٢٣. **اجتياح الغرب للشام عدا دمشق وعمان:**

عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ لَتَمْخُرَنَّ الرُّومُ الشَّامَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا لَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا إِلَّا دِمَشْقَ وَعَمَّانَ [٨١].

في هذا الحديث وعيد باجتياح الروم – وهم الأوربيون أو الأمريكان – بلاد الشام إلا دمشق وعمان، ويبدو أن ذلك لم يحدث بعد.

٢٤. **الشيوعية والعلمانية:**

عن عصمةَ بن قيسٍ السُلمي رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ يتعوَّذُ من فتنةِ المَشرقِ، قيل له فكيف فتنةُ المَغربِ ؟ قالَ: تلكَ أعظمُ وأعظمُ [٨٢].

فهل يمكن أن تكون فتنة المشرق الشيوعية، وفتنة المغرب العلمانية ؟ ربما.

٢٥. **خراب يسار الأرض ثم يمينها:**

عن جريرٍ رضي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: أَسْرَعُ الأرضِ خَراباً يُسْراها ثُم يُمْناها [٨٣].

ليس للأرض يسار ولا يمين، فهل يمكن أن يكون معنى الحديث المعسكر اليساري الشرقي، والمعسكر اليميني الغربي ؟ ربما، فيكون ذلك بشارة بانهيار المعسكر الغربي كما انهار المعسكر الشرقي.

٢٦. **حصار العراق والشام:**

كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا

---

[٨١] سنن أبي داود، كتاب السنة، رقم ٤٦٣٨، ورجاله ثقات، لكنه مرسل، ولا مجال فيه للرأي والاجتهاد.

[٨٢] قال الهيثمي: رواه الطبراني وقال: رجاله ثقات، وضعفه الألباني.

[٨٣] قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وقال: فيه حفص بن عمر بن صباح الرقي وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح، وضعفه الألباني.

يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا[٨٤].

هذا الحديث في ظني يتحدث عن حصار هذه الأقطار من الروم، فيحاصر أهل العراق، وقد رأينا ذلك، حتى قالت الوكالات العالمية إنه كان يموت في كل شهر حوالي ستة آلاف إنسان في العراق من انعدام الدواء وسوء التغذية.

ويبدو أنه يحاصر بعد ذلك أهل الشام، وقد بدأت مقدمات ذلك تتضح وتظهر، ثم يبعث الله تعالى المهدي عليه السلام كما يرى ذلك جمهور العلماء، بدلالة الأحاديث التي تذكر المهدي وصفاته.

٢٧. تفوق الغرب وأسبابه:

قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ " فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا، إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ [٨٥].

القسم الأول حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه أن الروم – وهم الغربيون – يكونون عند قيام الساعة أكثر الناس، ويحتمل أن تكون الكثرة عددية أو بمعنى القوة، وعلى كل حال فسيدخلون في الإسلام قبل وبعد نزول عيسى عليه السلام.

وأما القسم الثاني فهو من كلام عمرو بن العاص واجتهاده، وفيه رأي ثاقب، فهو يشخص خصائص المجتمع الناجح، فلنكن أحرص الناس على هذه الصفات، فقد اتصف بها أعداؤنا فتقدموا، وتركناها فتخلفنا، وتتلخص هذه الصفات فيما يلي:

---

[٨٤] صحيح مسلم، رقم ٥١٨٩.

[٨٥] صحيح مسلم، رقم ٥١٥٨.

- الحلم والتروي عند الفتن والمصائب، وعدم التسرع، ولذلك يفكرون ويدرسون الأمر قبل أن يتخذوا القرار.
- سرعة القيام بعد الوقوع، فيخرجون من الهزائم والأزمات بسرعة، وهذا يدل على العمل بجدية ومثابرة بعد اتخاذ القرار بروية.
- نظام التكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام مفصلا، فتركه المسلمون وأخذه الغربيون، فالعاطلون عن العمل في بلادهم يأخذون رواتب شهرية لكي يعيشوا حياة كريمة، بينما لا نكاد نجد ذلك في عالمنا الإسلامي إلا بشكل قليل وغير جاد.
- أنهم لا يقبلون الدكتاتورية من زعمائهم، ولذلك طوروا نظاما ديموقراطيا لعله من أهم ما يميز الغرب اليوم.

٢٨. ست علامات صغرى قبل القيامة:

عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ [٨٦] يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ [٨٧]، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ [٨٨] فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً [٨٩]، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا [٩٠].

للمال استفاضتان، الأولى يحرص الناس عليه، ويسخطون من عدم إعطائهم، وهذه هي المقصودة في هذا الحديث، وقد حدثت في زمن الخلفاء الراشدين، وزمن عمر بن عبد العزيز وغيره، والثانية هي أن تخرج الأرض كنوزها، فيفض حتى لا يقبله أحد، وهذه تكون في عصر الدجال.

---

[٨٦] الموت الكثير، صيغة مبالغة.

[٨٧] مرض يصيب الغنم يميتها بسرعة.

[٨٨] بنو الأصفر: الروم.

[٨٩] الغاية: الراية.

[٩٠] صحيح البخاري، كتاب الجزية، رقم ٣١٧٦.

أما الفتنة التي تدخل كل بيت فلا نستطيع الجزم بها، وقد فسرها كل قوم بما وقع في عصرهم، فربما كانت الأفكار الشيوعية والقومية، وربما كانت وسائل الإعلام الحديثة بما فيها من فتن كالتلفاز والإنترنت، وربما غير ذلك.

وأما غزو الروم فإليك تفصيله.

الملحمة

٢٩. غدر الغرب:

عن ذِي مِخْمَرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَتُصَالِحُكُمْ الرُّومُ صُلْحًا آمِنًا، ثُمَّ تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا، فَتَنْتَصِرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَنْصَرِفُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلِيبِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُومُ إِلَيْهِ فَيَدُقُّهُ [٩١]، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَ حِينَئِذٍ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا [٩٢].

لم تحدد الأحاديث هذا العدو المشترك الذي يغزوه المسلمون والروم، وفي سنن أبي داود " عدوا من ورائكم " فإن كان المقصود بقوله " من ورائكم " جغرافيا، فالعدو المشترك إذن شرق العالم الإسلامي.

٣٠. جيش المسلمين في غوطة دمشق:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْغُوطَةُ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ [٩٣].

الملحمة: هي المعركة الكبرى بين المسلمين والروم، وإنما سميت بذلك لكثرة ما يقع فيها من القتلى، كما سيأتي، ويكون معسكر المسلمين بجانب دمشق، ويكون معسكر الروم بدابق أو الأعماق، كما سيأتي في الحديث، وهي منطقة قرب مدينة حلب، وكلا المدينتين في سوريا كما هو معلوم.

---

[٩١] يقتله.

[٩٢] سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٩، وهو حديث صحيح.

[٩٣] مسند أحمد، مسند الأنصار، ٢١٢١٨، والحديث صحيح.

٣١. خراب المدينة المنورة قبيل الملحمة:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا، أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ [٩٤].

لعل عمران بيت المقدس هو العمران المادي، فإن مدينة القدس تشهد عمرانا متسارعا من قبل اليهود لم تعرفه من قبل.

ولعل خراب يثرب هو خراب مادي أيضا وربما كان ذلك بسبب زلزال أو بركان أو ما شابه ذلك، وربما كان بسبب اجتياح عدو، وكون مكة والمدينة محرمتين على الدجال لا يدل على أنهما محرمتان على كل عدو، كما في حديث ذي السويقتين السابق، وكما حدث من القرامطة.

وبعد الملحمة تفتح القسطنطينية (استانبول) وهذا هو الفتح الثاني، وتكون الملحمة وفتح القسطنطينية في عصر المهدي، ثم يخرج الدجال.

وهذه الصيغة في الحديث تدل على سرعة تتابع العلامات، قال ابن حجر: وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة [٩٥]، وهو يشير إلى حديث " الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعْ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا[٩٦].

٣٢. فتح القسطنطينة بعد الملحمة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا.. فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ

---

[٩٤] سنن أبي داود، كتاب الملاحم، رقم ٤٢٩٤، صححه ابن كثير، وحسنه ابن حجر.

[٩٥] فتح الباري ١٣/٧٧.

[٩٦] مسند أحمد، مسند المكثرين، رقم الحديث ٧٠٠٠، صححه أحمد شاكر والألباني.

أَحَدُ جَانِبَيْهَا، قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ [٩٧].

المراد بالمدينة: القسطنطينية كما بينتها الروايات الأخرى، وأما أنها تفتح بالتكبير فهذا ليس خارقا للعادة، بل لأن أهلها مسلمون، ويبدو أن النظام يكون عَلمانيا، فإذا حاصرها المسلمون فتح أهلها أبواب المدينة لهم، وسقط النظام العلماني.

وأما الغنائم فهي ليست أموال الناس المسلمين، بل هي أموال النظام تسقط في أيدي المسلمين.

٣٣. مكان الملحمة دابق قرب حلب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ [٩٨]، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سُبوا [٩٩] مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ [١٠٠] خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ

---

[٩٧] صحيح مسلم، رقم ٥١٩٩.

[٩٨] العمق منطقة، ودابق قرية، وكلاهما قرب حلب في سوريا، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي.

[٩٩] أي أسلموا، والله أعلم، وعَدُّوا المسلمين من قومهم أسرى حرب مع المسلمين، ويدل على ذلك قولهم " نقاتلهم " فلو كانوا من الروم أسرهم المسلمون فلماذا يقاتلهم الروم؟، وكذلك يسميهم المسلمون " إخواننا ".

[١٠٠] أي عائدين من القسطنطينية.

الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ [١٠١].

الجيش الذي يخرج من المدينة هو الجيش الذي يقوده المهدي، وأما السيوف فإنها الأسلحة، ولا يدل ذلك على أن القتال يعود بالسيوف.

٣٤. كثرة القتلى في الملحمة:

عن عَبْد اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ [١٠٢]، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ، فَقَالَ عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ [١٠٣] لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ [١٠٤] هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ [١٠٥] إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ [١٠٦] عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ [١٠٧] حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ [١٠٨]: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ

---

[١٠١] صحيح مسلم، رقم ٥١٥٧.

[١٠٢] وذلك لكثرة القتلى.

[١٠٣] يُخْرِجُ المسلمون قسما من الجيش يشترطون عليهم القتال حتى النصر أو الشهادة.

[١٠٤] يرجع.

[١٠٥] نهض وخرج.

[١٠٦] الهزيمة.

[١٠٧] لا يجتازهم.

[١٠٨] المنادي.

وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً [109]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ [110].

تكون الملحمة والله أعلم في عهد المهدي، كما يدل على ذلك جمع الروايات ومقارنتها.

---

[109] لاستطلاع صحة الخبر.

[110] صحيح مسلم، رقم ٥١٦٠.

المهدي

وردت في المهدي أكثر من خمسين حديثا من الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة المنجبرة [111]، بعضها بذكر اسمه وبعضها بذكر شيء من أوصافه، وقد وقع كثير من المسلمين في أخطاء في قضية المهدي :

- فمنهم من أنكر خروج المهدي في آخر الزمان، ظانا أن الأحاديث الواردة فيه ضعيفة كلها، وهذا لا يصح بسبب كثرة الروايات في ذلك، وعدد من هذه الروايات صحيح، ولذلك نص عدد من العلماء على أن أحاديث المهدي متواترة منهم المزي وابن حجر والسخاوي والسيوطي والشوكاني والكتاني.
- ومنهم من ضعفها عقلا، بحجة أن الإيمان بظهور المهدي يجعل الأمة تتواكل، ولا تعمل لإنقاذ فلسطين مثلا.

  وهذا منطق عجيب غريب، فهل كانت البشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء السابقين حثا على التواكل، وعدم العمل، أم بشارة تعطي الأمل وتدفع للعمل!!!.

وما رأي هؤلاء بالآيات التي تبشر المسلمين بالنصر في آخر الزمن، وبأن العاقبة للمتقين، وتبشر بتحرير بيت المقدس من أيدي اليهود؟ كيف يفهمونها؟ ولماذا لا يفهمون أحاديث المهدي بالطريقة نفسها؟

- والشيعة الإمامية يعتقدون أن المهدي هو الذي اختفى في سرداب في سامراء قبل حوالي ألف ومائتي سنة، وأنه سيخرج، ولا شك أن الله قادر على ذلك، ولكن ليس كل شيء يقع لأن الله قادر عليه، فالأمر يحتاج إلى دليل ولا دليل على هذا.
- وبعض المسلمين ادعى أنه المهدي، وقد حدث هذا مرارا عبر تاريخ المسلمين.

---

[111] انظر مثلا كتاب: التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح، للشوكاني.

- ومنهم من أجَّلَ العمل للإسلام وإقامة دولته حتى يظهر المهدي، وهذا خطأ، فإن النصوص تبين أن المهدي لا يبدأ من الصفر، بل إنه يأتي لقيادة الأمة، فعلى الأمة أن تكون جاهزة حين يخرج المهدي.

فما هي أهم الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام؟

٣٥. نسب المهدي:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي [١١٢]، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ [١١٣].

٣٦. اسم المهدي:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي [١١٤].

وفي رواية " واسم أبيه اسم أبي " [١١٥].

فهذا الحديث يبين نسب المهدي واسمه واسم أبيه، فهو موافق لاسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه.

٣٧. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، قَالَ عَاصِمٌ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِيَ [١١٦].

---

[١١٢] آل بيتي.

[١١٣] سنن أبي داود، كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٤، حسنه ابن حجر، وصححه الألباني.

[١١٤] جامع الترمذي، رقم ٢١٥٧، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

[١١٥] سنن أبي داود، كتاب المهدي، صححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

[١١٦] جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب المهدي، رقم الحديث ٢٢٣١، وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني.

وهذا الأسلوب للتأكيد على أن المهدي عليه السلام سيخرج حتما.

٣٨. المهدي خليفة وليس ملكا:

عن حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ [١١٧].

وقد كانت الخلافة الراشدة الأولى، ثم أصبحت الخلافة ملكا، أي وراثية، وذلك من زمن الأمويين، ثم جاءت فترة الجبرية بحيث يتأمر القوي وينصب نفسه حاكما، ويتذكر الإنسان في عالمنا العربي والإسلامي فترة الانقلابات العسكرية، ولا بد أن تأتي بعد ذلك خلافة راشدة، ويرى جمهور العلماء أن المقصود هو المهدي.

٣٩. صفة المهدي:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ [١١٨].

فالمهدي من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومن علاماته الخِلقية أنه منحسر الشعر عن مقدمة رأسه، وأن أنفه طويل مع حدبة في وسطه ودقة في أرنبته.

ويسبق ظهوره أن تُملأ الأرض ظلما، فهل امتلأت ؟.

---

[١١٧] مسند أحمد، مسند الكوفيين، رقم ١٧٩٣٩، صححه العراقي، وحسنه الألباني.

[١١٨] سنن أبي داود، كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٥. حسنه ابن حجر، وصححه أحمد شاكر.

٤٠. اختلاف ومقتلة قبل المهدي:

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ [١١٩] ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ، وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ [١٢٠].

٤١. البيعة للمهدي، والخسف لجيش الشام:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ[١٢١]، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ [١٢٢] فِي الْأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ [١٢٣]، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ [١٢٤].

---

٢ هذا الكنز هو كنز الكعبة.

[١٢٠] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، رقم الحديث ٤٠٨٤، وقال في الزوائد: هذا إسناد رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه البزار، وضعفه الألباني.

[١٢١] الرجل هو المهدي كما في الروايات الأخرى، ويهرب إلى مكة خشية أن يبايعوه بالخلافة فلا يقوم بها كما ينبغي.

[١٢٢] أي يستقر.

[١٢٣] وفي روايات أخرى أو ثمان أو تسع.

[١٢٤] سنن أبي داود، كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٦، صححه الحاكم، وحسنه ابن القيم، وضعفه الألباني، ورواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٥/٧: ورجاله رجال الصحيح.

والأبدال وردوا في عدة أحاديث منها حديث رواته ثقات أخرجه الإمام أحمد في مسنده وهو: ذُكِرَ أَهْلُ الشَّامِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالْعِرَاقِ فَقَالُوا الْعَنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَا إِنِّي سَمِعْتُ

يظهر المهدي في الحجاز، ويسبقه موت الحاكم واختلاف بعده على الحكم، ولا يكون أحد من المختلفين أهلا لذلك في نظر المسلمين، فينتهزون فرصة عدم الاتفاق على حاكم، ويختارون من يرونه مناسبا، ويكون هو المهدي، فيبايعونه.

ولم أجد في وقت بيعته حديثا قويا، فلم تذكر الأحاديث أنه يبايع في موسم الحج، أو في غيره.

وأما بعث الشام فهو جيش يخرج من بلاد الشام من المسلمين لقتال المهدي، ولإرجاع الحكم السابق، ويبدو أن بين ذلك النظام في الشام والنظام الذي يكون في الحجاز قبل المهدي علاقات قوية، فيهب لإنقاذه، أو يؤمر من قِبَل دولة عظمى بإنقاذه، ولا يكون المهدي في قوة ومنعة، فيخسف الله بالجيش في الصحراء.

٤٢. عن أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ [١٢٥]، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا ؟ قَالَ يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ [١٢٦].

٤٣. فيضانات مدمرة في الشام قبل المهدي:

عن عليٍ رضيَ اللهُ عنه قال: ستكونُ فِتنةٌ يُحَصَّلُ الناسُ منها كما يُحَصَّلُ الذهبُ في المَعْدِنِ، فلا تَسُبُّوا أهلَ الشامِ، وسُبُّوا ظلمتَهم، فإن فيهم الأَبْدَالَ، وسيرسلُ اللهُ إليهم سَيِّبًا من السماءِ فيغرقُهم حتى لو قاتَلَهم الثعالبُ غلبتهم، ثم يبعثُ اللهُ عند ذلك رجلاً من عِتْرَةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا إنْ قَلُّوا، أو خمسة عشر ألفا إن كَثُروا، أَمارَتُهم أو عَلامَتُهم أَمِتْ أَمِتْ، على ثلاثِ راياتٍ يقاتلُهم أهلُ سبعِ راياتٍ، ليس مِن صاحِبِ رايةٍ إلا وهو يطمعُ بالمُلكِ،

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ رَجُلًا يُسْقَى بِهِمْ الْغَيْثُ وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمْ الْعَذَابُ.

[١٢٥] هو المهدي.

[١٢٦] صحيح مسلم، رقم ٥١٣١.

فيقتتلونَ ويُهزَمونَ، ثم يَظْهَرُ الهاشميُّ [127]، فَيَرُدُّ اللهُ إلى الناسِ أُلْفَتَهم ونِعمتَهم فيكونونَ على ذلك حتى يَخرجَ الدجالُ [128].

فيسبق المهدي فيضانات مدمرة يرسلها الله على أهل الشام.

٤٤. سنوات حكم المهدي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ ،وإلا فَثَمَانٌ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، تَنْعَمُ أُمَّتِي فِيها نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا، يُرسِلُ السماءَ عليهم مِدْراراً، وَلَا تَدَّخِرُ الأرضُ شَيْئًا مِنْ النَّباتِ، وَالْمَالُ كُدُوسٌ، يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي فَيَقُولُ خُذْ [129].

هذه هي أفضل سنوات تمر على البشرية من عهد آدم حتى تقوم الساعة، ترد الأرض بركتها، ويكثر المال، ويعيش الناس في سلام حقيقي لا ظلم فيه.

٤٥. المهدي يملأ الأرض عدلا:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْ النَّاسِ، وَزَلَازِلَ [130]، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا صِحَاحًا ؟ قَالَ بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِنًى، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ ؟ فَمَا يَقُومُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ، فَيَقُولُ ائْتِ السَّدَّانَ يَعْنِي الْخَازِنَ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا، فَيَقُولُ لَهُ: احْثِ، حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا

---

[127] المهدي.

[128] المستدرك للحاكم ٥٥٣/٤، وصححه، ووافقه الذهبي.

[129] مجمع الزوائد ٣١٧/٧، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، وقال رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

[130] قد تكون هذه الزلازل طبيعية حقيقية، وقد تكون بمعنى اختلافات شديدة تزلزل الناس.

وَسِعَهُمْ ؟ قَالَ فَيَرُدُّهُ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ، أَوْ قَالَ ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ [١٣١].

سبق أن قلنا إن هذه السنوات هي أفضل سنوات تمر على البشرية كلها، ثم بعد ذلك تتتابع الفتن وعلامات الساعة الكبرى، حتى تقوم الساعة.

٤٦. المهدي مقدمة للعلامات الكبرى:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَغْنَمَ، فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا، فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: لَيُفْتَحَنَّ لَكُمْ الشَّامُ وَالرُّومُ وَفَارِسُ، أَوْ الرُّومُ وَفَارِسُ، حَتَّى يَكُونَ لِأَحَدِكُمْ مِنْ الْإِبِلِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ الْغَنَمِ، حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي أَوْ هَامَتِي فَقَالَ: يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ [١٣٢].

يشير هذا الحديث – والله أعلم – إلى ظهور المهدي، وأن ظهوره من علامات الساعة الكبرى، ولست مع الذين يرون أن هذا الحديث يشير إلى تحرير فلسطين من اليهود، وإقامة دولة إسلامية فيها قبل ظهور المهدي.

---

[١٣١] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم ١٠٩٣٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات، وقال الألباني في الصحيحة: رجاله ثقات رجال مسلم، غير العلاء بن بشير وهو مجهول، لكن قد توبع على بعضه.

[١٣٢] مسند أحمد، بقية مسند الأنصار، رقم ٢١٩٨١، وهو حديث حسن، قال ابن حجر في التهذيب: الإسناد لا بأس به، وصححه المناوي، وحسنه الألباني.

علامات الساعة الكبرى

٤٧. العلامات العشر:

عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ ؟ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ، خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ [١٣٣].

٤٨. بادروا بالأعمال ستا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا، طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَّالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ [١٣٤]، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ [١٣٥].

٤٩. تسارع العلامات الكبرى:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمَلْحَمَةُ الْعُظْمَى، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ [١٣٦].

---

[١٣٣] صحيح مسلم، رقم ٥١٦٢.

[١٣٤] خاصة أحدكم: موته، أمر العامة: قيام الساعة.

[١٣٥] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٧.

[١٣٦] جامع الترمذي، رقم ٢١٦٤، وقال: حديث حسن غريب. وقول الترمذي: حسن غريب ليس المراد به أن معناه غريب، أو أنه ضعيف، بل هو مصطلح للترمذي يتعلق بالسند، والراجح في معناه أن الحديث حسن لذاته، وقال ابن حجر: فيه ضعف.

٥٠. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعْ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا [١٣٧].

٥١. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا [١٣٨].

والراجح في ترتيبها: الخسوف الذي بعد ظهور المهدي، الدجال، نزول عيسى عليه السلام، يأجوج ومأجوج، طلوع الشمس من مغربها، الدابة، الدخان، نار تخرج من اليمن، وقد سبقت الإشارة إلى الخسف الذي بعد المهدي، فلنذكر بقية الأشراط الكبرى وهي سبعة.

---

[١٣٧] مسند أحمد، مسند المكثرين، رقم الحديث ٧٠٠٠، صححه أحمد شاكر والألباني.

[١٣٨] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم الحديث ٢٩٤١.

الدجال

يسأل بعض الناس: لماذا لم يُذْكَر الدجالُ في القرآن الكريم مع شدة فتنته ؟

والجواب من وجوه أهمها:

أولا: لا توجد قاعدة في أن ما يذكر في القرآن أهم مما يذكر في السنة، فبعض ما ورد في القرآن من باب الندب أو الإباحة مثلا، وبعض ما ورد في السنة ولم يرد في القرآن من باب الواجب.

ثانيا: قد أشار القرآن إلى ذكر الدجال في قوله تعالى {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً} [١٣٩]، وقد جاءت السنة النبوية الصحيحة تبين هذه الآيات وهي ثلاثة منها الدجال.

ثالثا: أن هناك تلازما زمانيا بين المسيح والدجال، والمسيح هو الذي يقتله، فاكتفي بذكر أحدهما في القرآن الكريم عن الآخر، كما هي عادة العرب في ذلك.

وأما الأحاديث الواردة فيه فهي كثيرة متواترة كما ذكر كثير من كبار علماء الحديث كابن حجر والشوكاني والألباني وغيرهم [١٤٠]، وهذه أهمها:

٥٢. الدجال من أهم العلامات الكبرى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ [١٤١].

---

[١٣٩] سورة الأنعام، من الآية ١٥٨.

[١٤٠] [١٤٠] انظر مثلا كتاب: التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح، للشوكاني.

[١٤١] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ١٥٨.

وهذه العلامات الثلاث لم تذكر مرتبة في هذا الحديث، فقد عطفت بالواو، والواو لا تفيد الترتيب.

٥٣. الدجال مقيد في إحدى الجزر:

عن فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ نِدَاءَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ [١٤٢] عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ [١٤٣] السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ [١٤٤]، كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ [١٤٥]، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا [١٤٦] مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ

---

[١٤٢] لقد سُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لموافقة كلام تميم لكلامه، ولا يقال في هذا المجال: وهل يحتاج كلام النبي صلى الله عليه وسلم إلى تأكيد؟ نقول هذا لمن ينكر علينا كلامنا في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حيث يقولون: وهل يحتاج كلام الله ورسوله إلى تأكيد من العلماء؟ نقول: إننا نفرح بكل دليل جديد على صدق الله ورسوله كما فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام تميم.

[١٤٣] جمع قارب.

[١٤٤] غليظ الشعر.

[١٤٥] من التجسس، لأنها تتجسس الأخبار للدجال.

[١٤٦] خفنا.

بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ [١٤٧]، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ [١٤٨] ؟ قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا [١٤٩] يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ [١٥٠] مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ [١٥١] فِي الْمِنْبَرِ: هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، يَعْنِي الْمَدِينَةَ، أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا

---

[١٤٧] اضطرب.

[١٤٨] اسم بلدة جنوب الشام.

[١٤٩] مسلولا.

[١٥٠] النقب: الطريق.

[١٥١] المخصرة: العصا.

إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا [١٥٢] هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ [١٥٣].

سمعت من بعض المتعالمين المدعين للعلم والعقل، المتطاولين ليس على الصحيحين فقط، بل وعلى الصحابة ومن بعدهم من العلماء، سمعت أنهم يقولون: لقد اكتشفت كل الكرة الأرضية فلم نجد الدجال، وهذا كلام غريب منهم:

- فلا زال العلماء يكتشفون جزرا كاملة، وقبائل كاملة لم تكتشف من قبل، فكيف بمغارة في إحدى الجزر؟.
- وكيف لم يكتشفوا أسامة بن لادن وهو المطلوب الأول لأقوى دولة في العالم وهم يبحثون عنه منذ سنوات؟.
- وكيف لا نعلم حتى الآن أين يأجوج ومأجوج على كثرتهم؟ فأيهما أعجب وأغرب؟

٥٤. صفة الدجال:

عَنْ ابن عمرَ رضي الله عنه قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِيسَى أَحْمَرُ، وَلَكِنْ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ [١٥٤]، سَبْطُ الشَّعَرِ، يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً، أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ ،وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ، قَالَ الزُّهْرِيُّ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ [١٥٥].

---

[١٥٢] ما: زائدة، والمعنى: إنه في المشرق.

[١٥٣] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٢.

[١٥٤] أسمر.

[١٥٥] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤١.

٥٥. أتباع الدجال:

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ [١٥٦] سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ[١٥٧]، [١٥٨].

٥٦. كم يمكث الدجال؟:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ ؟ تَقُولُ إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا [١٥٩]، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ [١٦٠]، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ [١٦١]، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ، فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ [١٦٢] رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا [١٦٣]، وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ

---

[١٥٦] أصبهان: مدينة تقع الآن في إيران، ولا زال يعيش فيها يهود، وهاجر بعضهم إلى فلسطين.

[١٥٧] الطيلسان لباس أعجمي.

[١٥٨] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٤.

[١٥٩] بل هي أربعون يوما كما في الروايات الأخرى.

[١٦٠] أي يشبهه في الشكل والخلقة.

[١٦١] كناية عن شدة الجهل والطيش.

[١٦٢] دار: كثير.

[١٦٣] الليت: صفحة العنق.

يَلُوطُ [١٦٤] حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوْ الظِّلُّ، نُعْمَانُ الشَّاكُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ [١٦٥].

٥٧. الأماكن التي لا يدخلها الدجال:

عن رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أُنْذِرُكُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، أُنْذِرُكُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَهُوَ رَجُلٌ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، مَعَهُ جِبَالُ خُبْزٍ، وَأَنْهَارُ مَاءٍ، يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ، فَذَكَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَالْمَدِينَةَ، غَيْرَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْوَرَ، لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْوَرَ [١٦٦].

٥٨. الاستعاذة من فتنة الدجال:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِيذُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ [١٦٧].

استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من الدجال تعليم لنا، وبيان لشدة خطره، وعبادة لله تعالى.

---

[١٦٤] يصلحه.

[١٦٥] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠، والساق عند جمهور العلماء كناية عن شدة الأمر.

[١٦٦] مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم الحديث ٢٣١٧١، ورجاله ثقات كما قال ابن حجر، فتح الباري ١٣/١٠٥.

[١٦٧] صحيح مسلم، كتاب المساجد، رقم ٥٨٧.

٥٩. فرار الناس من الدجال:

عن أُمِّ شَرِيكٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ قال: هُمْ قَلِيلٌ [١٦٨].

قلة العرب إما عددا، وذلك بسبب ما يتعرضون له من خسائر بشرية هائلة في الملحمة وغيرها، قبيل العلامات الكبرى.

وإما أنهم كثر عددا، ولكن دون فعالية، فلا وزن لهم، بل هم غثاء كغثاء السيل كما نرى اليوم.

٦٠. دليل كذب الدجال:

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ك ف ر [١٦٩].

ذكر هذه الأحرف للتأكيد على أنها كتابة حقيقية، يراها كل مسلم، وليست من قبيل المجاز.

٦١. مع الدجال نار وماء:

عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ [١٧٠] فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ [١٧١].

فالماء الذي معه، وكذلك الخبز إنما هو خيال لا حقيقة له، وهذا هو التوفيق بين هذه الرواية وبين رواية " هو أهون على الله من ذلك " أي ليس معه شيء من ذلك.

---

[١٦٨] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٥.

[١٦٩] صحيح مسلم، رقم ٥٢١٩.

[١٧٠] أي فليشرب.

[١٧١] صحيح مسلم، رقم ٥٢٢٥.

٦٢. التحاق منافقي المدينة وفسقتها بالدجال:

عَنْ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ ؟ يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ ؟ يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ ؟ ثَلَاثًا، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ ؟ قَالَ يَجِيءُ الدَّجَّالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا، فَيَنْظُرُ الْمَدِينَةَ فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَتَرَوْنَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ ؟ هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ[١٧٢] مِنْهَا مَلَكًا مُصْلِتًا [١٧٣]، فَيَأْتِي سَبْخَةَ [١٧٤] الْحَرْفِ، فَيَضْرِبُ رُوَاقَهُ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ [١٧٥].

فيكون في المدينة المنورة عندها منافقون ومنافقات، وفاسقون وفاسقات، يلتحقون بالدجال إذا جاء، فتتخلص منهم المدينة وأهلها، وذلك يوم الخلاص.

٦٣. يقتل الدجال رجلا ثم يحييه بإذن الله:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ [١٧٦] مَسَالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ [١٧٧]، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي ؟ قَالَ فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَسْتَوِي

---

[١٧٢] طريق.

[١٧٣] شاهرا سيفه.

[١٧٤] الأرض التي يعلوها الملح.

[١٧٥] مسند أحمد، أول مسند الكوفيين، رقم ١٨٤٩٦، ورجاله ثقات.

[١٧٦] الجنود الذين يحرسون معسكر الدجال.

[١٧٧] يربط بين خشبتين.

قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي ؟ فَيَقُولُ مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنْ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٧٨].

كل هذه التفاصيل الدقيقة في القصة تدل على أن الدجال شخص حقيقي، وأنه ليس الحضارة الغربية مثلا، وما شاكل ذلك من تفسيرات.

وسمعت من بعض المتعالمين المتطاولين على الصحيحين باسم ما يسميه (العقل) يقول: لا يعقل أن يسلط الله الدجال على أحد فيقتله ثم يحييه، وكأنه استغرب كيف يحيي إنسان إنسانا، فقلت له: فما رأيك بإحياء سيدنا عيسى للموتى؟ قال: كان ذلك بإذن الله، قلت: وهل يقول أحد إن الدجال يحييه بغير إذن الله؟ فسكت.

انظر أيها القارئ الكريم إلى هذا الصنف من الناس كيف يقبلون أن يحيي عيسى عليه السلام الموتى (بصيغة الجمع) وينكرون أن يحيي الدجال ميتا واحدا استدراجا، ففي الحالتين هذا ليس خارقا للعقل، بل هو خارق للعادة، ومعلوم أن من عقائد المسلمين أن الله يخرق العادات معجزة لنبي، أو كرامة لولي، أو استدراجا لكافر أو فاسق.

٦٤. فتنة الدجال ومقتله:

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ [١٧٩]، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ [١٨٠].. فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ [١٨١] دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ،

---

[١٧٨] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٨.

[١٧٩] أي: حقَّره وعظم فتنته.

[١٨٠] في طرف النخل، أي قريبا.

[١٨١] أي: المحاجج والمخاصم، أي: فأنا أكفيكم مجادلته وفضح أمره.

وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ [١٨٢]، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ.. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً [١٨٣] بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ [١٨٤] يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ [١٨٥]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ: لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ [١٨٦]أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا [١٨٧]، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا [١٨٨]، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ [١٨٩]، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ [١٩٠]، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ [١٩١]رَمْيَةَ الْغَرَضِ [١٩٢]، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ

---

[١٨٢] أجعد الشعر.

[١٨٣] في طريق بينهما.

[١٨٤] أفسد.

[١٨٥] في ظني أن لهذا علاقة بطلوع الشمس من مغربها، فطلوعها من مغربها يعني انعكاس حركة الأرض، فكيف تبقى عليها حياة بعد ذلك إذا تم ذلك في لحظة واحدة، فربما تم ذلك تدريجيا، فتكون أيام الدجال السبعة والثلاثين الأولى كأيامنا، ثم يأتي يوم كأسبوع، ثم يوم كشهر، ثم اليوم الذي كسنة، أي إن حركة الأرض تبقى في الاتجاه نفسه ولكنها تصبح أبطأ تدريجيا، حتى تتوقف تماما فتنعكس دورتها فتطلع الشمس من مغربها والله أعلم، وقد كنت أقول هذا لطلابي من بداية الثمانينيات من القرن العشرين، ثم سمعت ما يوافقه من الدكتور زغلول النجار حفظه الله.

[١٨٦] السارحة: الماشية.

[١٨٧] الذرى: الأسنمة، جمع سنام، أي: تعود أعلى وأكبر.

[١٨٨] أصبحت ضروعها أكبر.

[١٨٩] من المحل، وهو القحط.

[١٩٠] اليعاسيب: ذكور النحل.

[١٩١] قطعتين.

[١٩٢] الغرض: الهدف.

الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ [193]، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ [194] فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ [195] لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ [196]، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ [197] نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ [198] فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى [199] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ [200]، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ [201]، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ [202] وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ [203]، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ [204] مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا [205]، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ [206]، حَتَّى أَنَّ

---

[193] يليس ثوبين فيهما صفرة خفيفة.

[194] مدينة اللد في فلسطين.

[195] لا قدرة.

[196] الحدب: المكان المرتفع، والمقصود: من كل مكان، وينسلون: يسرعون.

[197] يدعو.

[198] النغف: الدود.

[199] قتلى.

[200] رائحتهم الكريهة.

[201] الجمال.

[202] الطين.

[203] المرآة، لنظافتها.

[204] الجماعة من الناس.

اللِّقْحَةَ [٢٠٧] مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ [٢٠٨] مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ [٢٠٩] مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ [٢١٠] فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ، وفي رواية: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا [٢١١].

٦٥. مقتلة اليهود بعد الدجال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ [٢١٢].

هذه المعركة تكون بين المسلمين بقيادة المهدي ثم ينزل عيسى عليهما السلام وبين اليهود بقيادة الدجال، وإن حدث أن قال حجر لمسلم هذا قبل ظهور المهدي ونزول عيسى فيكون من باب الكرامات، وهي حالات نادرة، أما ما ذكر في الحديث فهي ظاهرة واسعة الانتشار، وليست حالات فردية.

---

[٢٠٥] قشرها.

[٢٠٦] اللبن.

[٢٠٧] ذات اللبن.

[٢٠٨] الجماعة.

[٢٠٩] الفرع من القبيلة.

[٢١٠] يتسافدون، أي يكون الزنا علانية.

[٢١١] صحيح مسلم، رقم ٥٢٢٨.

[٢١٢] صحيح مسلم، رقم ٥٢٠٣.

نزول المسيح عليه السلام

نزول المسيح لا شك فيه، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات وهي :

- ❖ {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [٢١٣]، وفي قراءة {لَعَلَمٌ} أي علامة من علامات الساعة.
- ❖ {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} [٢١٤]، فهذا دليل على أن المسيح لم يمت وأنه سينزل ويعيش ويموت.
- ❖ {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ} [٢١٥]، ولقد كان في تكليم عيسى عليه السلام في المهد خرقا للعادة، ولكن ما العجيب في أن يكلم الناس كهلا ؟ الجواب: أن يكون ذلك بعد نزوله من السماء بعدما رفع بآلاف السنين، فإنه قد رفع ولم يكتهل بعد.

وربما ظن بعضهم أن القرآن قد صرح بموته في قوله تعالى {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيّ} [٢١٦]، والصحيح أن معنى {متوفيك} قابضك كاملا، أي بروحك وجسدك، كما تقول: استوفيت دَيني، أي قبضته كاملا.

ولو لم يكن في عيسى عليه السلام إلا هذه الآيات لأمكن تأويلها بغير ما سبق، فهي ظنية الدلالة، وليست قطعية الدلالة، ولكن الذي حسم الأمر بما لا يدع مجالا للشك هو تواتر ذلك في الأحاديث النبوية، كما صرح بذلك كثير من العلماء، فقد بلغ عدد الأحاديث المرفوعة في نزول المسيح (٨٦) حديثا، وبلغ عدد غير المرفوع (٣٥) حديثا، فالمجموع (١٢١) حديثا، وقد سبق ذكر عدد من تلك الأحاديث، ولذلك فقد صرح كثير من العلماء بأن أحاديث نزول عيسى عليه السلام متواترة، ومنهم: ابن كثير وابن عطية والشوكاني والكتاني وأبو غدة.

ومن الأحاديث التي لم يسبق ذكرها :

---

[٢١٣] سورة الزخرف، آية ٦١.

[٢١٤] سورة النساء، آية ١٥٩.

[٢١٥] سورة آل عمران، آية ٤٦.

[٢١٦] سورة آل عمران، من الآية ٥٥.

٦٦. **المسيح يكسر الصليب:**

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ [٢١٧]، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ [٢١٨]، وَيَفِيضَ الْمَالُ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا [٢١٩]. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [٢٢٠].

٦٧. **ذهاب التباغض زمن المسيح:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا [٢٢١]، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ [٢٢٢]، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ [٢٢٣].

٦٨. **ينزل المسيح زمن المهدي:**

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ [٢٢٤].

والجمهور أن إمام المسلمين يومئذ هو المهدي.

---

[٢١٧] يبطل ما تزعمه النصارى من عقائد وشرائع باطلة، فالصليب إشارة إلى العقائد، والخنزير إشارة إلى الشرائع.

[٢١٨] إسقاط الجزية، أي لا يقبل من أهل الكتاب إلا الإسلام، لأنه بنزول عيسى عليه السلام لا تبقى لهم شبهة يتمسكون بها.

[٢١٩] السجدة خير من الدنيا في كل زمان، ولكن الناس يدركون ذلك ويقدمونها عمليا على الدنيا.

[٢٢٠] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، رقم الحديث ٣٤٤٨.

[٢٢١] القلاص: النوق، جمع ناقة وهي أغلى أموال العرب، فمن علامات الساعة أنها تترك زهدا فيها لعلمهم بقرب الساعة، ولكثرة المال.

[٢٢٢] لأن كل ذلك من التنازع على الدنيا، وقد كثر المال، وعلموا أن الساعة قريبة.

[٢٢٣] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٥٥.

[٢٢٤] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، رقم الحديث ٣٤٤٩.

٦٩. المسيح يحكم بالإسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟ قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ ؟ قُلْتُ: تُخْبِرُنِي، قَالَ: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢٢٥].

وفي هذا رد على من ينكر نزول المسيح عليه السلام بحجة أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، فيبين الحديث أنه حينما ينزل إنما يحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٧٠. المسيح يقتدي بالمهدي في الصلاة:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ [٢٢٦]: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ[٢٢٧].

٧١. النبي يقرأ السلام على المسيح عليهما السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ طَالَ بِي عُمُرٌ أَنْ أَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَإِنْ عَجِلَ بِي مَوْتٌ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ [٢٢٨].

٧٢. المسيح يحج البيت الحرام:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ [٢٢٩] ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ [٢٣٠] حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا [٢٣١]، [٢٣٢].

---

[٢٢٥] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٥٥.

[٢٢٦] الجمهور على أنه المهدي.

[٢٢٧] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٥٦.

[٢٢٨] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث ٧٩١٠، صححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

٧٣. صفة المسيح ودخول الناس في الإسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ – يَعْنِي عِيسَى – وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ [٢٣٣]، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ [٢٣٤]، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ [٢٣٥]، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ [٢٣٦]، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً [٢٣٧]، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ [٢٣٨].

---

[٢٢٩] الإهلال: رفع الصوت بالتلبية في الحج والعمرة.

[٢٣٠] مكان قرب المدينة المنورة.

[٢٣١] أي يجمع بين الحج والعمرة.

[٢٣٢] صحيح مسلم، كتاب الحج، رقم الحديث ١٢٥٢.

[٢٣٣] ليس بالطويل ولا القصير.

[٢٣٤] وقد سبق في حديث أنه آدم أي أسمر، فالمسيح عليه السلام ليس أسمر تماما ولا أبيض تماما ولا أحمر تماما، ولكنه بين ذلك فهو بين الأسمر والأبيض وفيه حمرة ربما في وجنتيه، والله أعلم.

[٢٣٥] يلبس ثوبين فيهما صفرة خفيفة.

[٢٣٦] إما حقيقة وهذا رأي، وهو الأصل لأنه على الحقيقة ولا قرينة تصرفه، أو بمعنى الغلبة وهو رأي آخر.

[٢٣٧] يمكن أن يكون هذا المكث ليس بعد نزوله بل مضافا إلى الفترة التي عاشها قبل رفعه عليه السلام وهو الراجح، وقيل بل يعيش أربعين سنة بعد نزوله.

[٢٣٨] سنن أبي داود، كتاب الملاحم، رقم الحديث ٤٣٢٤، ورجاله رجال الحسن، وصححه الألباني.

يأجوج ومأجوج

ذكر الله عز وجل يأجوج ومأجوج مرتين في كتابه الكريم، فقال تعالى {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً}[٢٣٩].
وقال تعالى {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [٢٤٠].

ولا خلاف أن خروج يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى عليه السلام، وهو من أشراط الساعة الكبرى.

ومن الأحاديث الواردة فيهم غير ما سبق :

٧٤. يأجوج ومأجوج من أعظم الفتن:

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً [٢٤١]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ [٢٤٢].

فوجود الصالحين لا يمنع وقوع العذاب، إنما يمنعه وجود المصلحين، فهم صمام الأمان للمجتمع، قال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [٢٤٣].

٧٥. خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ

---

[٢٣٩] سورة الكهف، آية ٩٤.

[٢٤٠] سورة الأنبياء، آية ٩٦.

[٢٤١] أي وضع رأس السبابة في وسط الإبهام.

[٢٤٢] صحيح مسلم، رقم ٥١٢٨، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

[٢٤٣] سورة هود، آية ١١٧.

اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ، فَيَقُولُونَ قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ [٢٤٤].

٧٦. بقاء الحج بعد يأجوج ومأجوج:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ [٢٤٥].

٧٧. كثرة يأجوج ومأجوج:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، إِلَى قَوْلِهِ: عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطِيَّ [٢٤٦]، وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، فَيَئِسَ الْقَوْمُ، حَتَّى مَا أَبَدَوْا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ قَالَ: اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَبَنِي إِبْلِيسَ، قَالَ

---

[٢٤٤] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، رقم الحديث ٤٠٨٠، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة.

[٢٤٥] صحيح البخاري، كتاب الحج، رقم الحديث ١٥٩٣.

[٢٤٦] لحقوا به ليسمعوا ما يقوله.

فَسُرِّيَ [٢٤٧] عَنْ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ، فَقَالَ: اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ [٢٤٨].

هذا التشبيه كناية عن قلة عدد المسلمين بالنسبة ليأجوج ومأجوج، ولكنه أيضا يدل على تميز المسلمين عن غيرهم، كما تتميز الشعرة البيضاء عن الشعر الأسود، كما ورد في بعض روايات الحديث الصحيحة.

٧٨. عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ [٢٤٩].

وهذا كناية عن كثرة عددهم.

٧٩. **تزايد يأجوج ومأجوج العددي:**

وعن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ أقل ما يتركُ أحدُهم لِصُلْبِهِ ألفاً من الذُّرِّيَّةِ [٢٥٠].

---

[٢٤٧] انكشف.

[٢٤٨] جامع الترمذي، كتاب التفسير، رقم الحديث ٣١٦٩، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

[٢٤٩] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، رقم الحديث ٤٠٧٦، ورجاله ثقات، وصححه الألباني.

[٢٥٠] صحيح ابن حبان، انظر موارد الظمآن ٤٧٠، رقم ١٩٠٧، وصححه ابن حجر في فتح الباري ١٣/١٠٦.

طلوع الشمس من مغربها

سبقت بعض الأحاديث في طلوع الشمس من مغربها، ويستغرب بعض الناس ذلك، ولكن الأحاديث في ذلك صحيحة، فينبغي الإيمان بها، ومعنى أن تطلع الشمس من مغربها أن الأرض تنعكس دورتها حول نفسها، ولا بد أن يتم ذلك تدريجيا، وإلا فإن كل ما على الكرة الأرضية سيتم تدميره، فيأتي يوم كأسبوع، ثم يوم كشهر، ثم يوم كسنة، كما سبق ذكره في أحاديث الدجال، ثم تتوقف، ثم تدور بالاتجاه المعاكس.

وقد كنت أقول هذا لطلابي من بداية الثمانينيات من القرن العشرين، ثم سمعت ما يوافقه من الدكتور زغلول النجار حفظه الله، ولكنه زادني معلومة لم أكن أعرفها وهي: أن حركة الأرض حول نفسها قد انعكست أكثر من مرة عبر تاريخها الطويل، وذلك قبل أن يُخلق الإنسان عليها، ومن المتوقع بل من المحتم أن يحدث هذا في المستقبل، بحسب قوانين الكون، والله أعلم [٢٥١].

ومن الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها :

٨٠. إذا طلعت الشمس من مغربها لا ينفع نفسا إيمانها:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ [٢٥٢].

٨١. لا تقبل التوبة عند طلوع الشمس من مغربها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ [٢٥٣].

---

[٢٥١] من محاضرات الدكتور زغلول النجار.

[٢٥٢] صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم الحديث ٤٦٣٥.

[٢٥٣] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم الحديث ٢٧٠٣.

٨٢. عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا [٢٥٤].

[٢٥٤] صحيح مسلم، كتاب التوبة، رقم الحديث ٣٧٥٩.

خروج الدابة

جاء ذكر الدابة في القرآن الكريم، فقال تعالى {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} [٢٥٥].

٨٣. تخرج الدابة من المسجد الحرام:

عن حُذيفةَ بن أَسِيدٍ رضي اللهُ عنه أُراه رَفَعَهُ قالَ: تَخرجُ الدَّابَّةُ مِن أعظمِ المساجدِ، فبينما هم كذلك إذْ دَنَتْ الأرضُ، فبينما هم كذلك إذ تَصَدَّعَتْ [٢٥٦].

وأعظم المساجد هنا هو أعظمها شأنا، وهو المسجد الحرام، فبينما يكون الناس في الحرم المكي يفاجأون بارتفاع الأرض ثم ترتفع أكثر فتنشق، وتخرج الدابة.

ولم أجد أحاديث قوية أخرى تضيف إلى الآية والحديث مزيدا من المعلومات.

---

[٢٥٥] سورة النمل، آية ٨٢.

[٢٥٦] مجمع الزوائد للهيثمي ٧/٨، وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

الدخان

قال تعالى {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [٢٥٧].

٨٤. عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} قَالَ يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ، حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ اللَّهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنْ الْجَهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ اللَّهَ لِمُضَرَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَقَالَ لِمُضَرَ ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ [٢٥٨]، قَالَ فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} قَالَ فَمُطِرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [٢٥٩] قَالَ يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ [٢٦٠].

وهذا هو رأي ابن مسعود في تفسير الآية، ولكنه لم يرفع هذا التفسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وجمهور الصحابة ومن بعدهم على أن تفسير الآية: دخان يأتي قبيل قيام الساعة، وأنه علامة من علاماتها، وعلى رأس هؤلاء ابن عباس، وقد استدلوا بحديثين صحيحين مرفوعين إلى النبي صلى الله عليه وسلم سبق ذكرهما:

أولهما: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،

---

[٢٥٧] سورة الدخان، آية ١٠.

[٢٥٨] أي: كيف تطلب أن أستغفر لهم وهم على كفرهم، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى لهم.

[٢٥٩] سورة الدخان، آية ١٦.

[٢٦٠] صحيح البخاري، رقم الحديث ٤٨٠٩.

وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ، خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ [٢٦١].

وثانيهما: بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا، طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَّالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ [٢٦٢]، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ [٢٦٣].

---

[٢٦١] صحيح مسلم، رقم ٥١٦٢.

[٢٦٢] خاصة أحدكم: موته، أمر العامة: قيام الساعة.

[٢٦٣] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٧.

خروج النار

٨٥. سبقت أحاديث في ذكر النار منها حديث عند مسلم، وفيه " وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ [٢٦٤].

٨٦. عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَبِي سَرِيحَةَ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غُرْفَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ فَقَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَثَلَاثُ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا [٢٦٥].

وهذه العلامات عطفت بالواو، والواو لا تفيد الترتيب.

٨٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا [٢٦٦].

---

[٢٦٤] صحيح مسلم، رقم ٥١٦٢.

[٢٦٥] سنن أبي داود، كتاب الفتن، رقم الحديث ٤٠٥٥، ورجاله ثقات.

[٢٦٦] صحيح البخاري، رقم ٦٥٢٢.

كيف النجاة من الفتن ؟

أولا: التزام القرآن والسنة:

٨٨. عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا [٢٦٧] رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ [٢٦٨]، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ [٢٦٩]، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ [٢٧٠]، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ [٢٧١]، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ [٢٧٢].

---

[٢٦٧] الوعظ: الكلام الذي يركز على مخاطبة القلب.

[٢٦٨] المودع يوصي بأهم شيء.

[٢٦٩] السمع والطاعة من تقوى الله، فكأنه قال: أوصيكم بتقوى الله بعامة، وبالسمع والطاعة بخاصة. فهل مشكلة المسلمين الرئيسية السمع رضي الله عنهم فلو نظرنا لوجدنا أن مشكلاتهم من زمن فتنة قتل عثمان رضي الله عنه حتى عصرنا الذي كثر فيه المسلون، وقلت فاعليتهم سببه عدم التزامهم بالجماعة والسمع والطاعة، وإن قوة اليهود اليوم إنما هي بسبب تجمعهم، فلا تكاد تجد منهم من لا ينتمي إلى حزب أو جمعية يهودية.

[٢٧٠] الراجح عند الجمهور أن البدعة الضلالة هي: التعبد بجديد مخالف للإسلام، ولذلك قسموا البدعة لغة – أي الجديد – إلى خمسة أقسام: بدعة واجبة ومستحبة ومباحة ومكروهة ومحرمة، فمن زعم أن شيئا بدعة فعليه إثبات ثلاثة أمور: أولها: أنه يقصد به التعبد، ولا يفعله عادة مثلا، ثانيها: أنه جديد ليس له أصل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وثالثها: أنه مخالف لنص شرعي أو إجماع.

[٢٧١] سنة الخلفاء الراشدين: أوامرهم في ما لا معصية فيه، فهي مسألة سمع وطاعة.

[٢٧٢] جامع الترمذي، كتاب العلم، رقم الحديث ٢٦٧٦، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه العراقي وابن حجر وغيرهما.

ثانيا: لزوم جماعة المسلمين:

فإن الجماعة حصن حصين للمسلم في الفتن، كما سبق في الحديث الذي في صحيح " فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ".[273]

والحديث السابق أيضا يدل على وجوب لزوم الجماعة، وبخاصة في الفتن.

٨٩. عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ.[274]

٩٠. عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ[275].

والمقصود بالجماعة في هذه الأحاديث جماعة المسلمين، وهي من اسمها لا بد لها من شرطين:

أولهما: أن تكون جماعة، أي لا بد أن تكون تجمعا له قيادة يتم اختيارها اختيارا، ويجب لها السمع والطاعة في غير معصية، وقد تكون هذه القيادة متمثلة في الحاكم – سواء لقب بالخليفة أو الحاكم أو الرئيس أو غير ذلك – إذا اجتمعت فيه الشروط، وارتضاه المسلمون، وقد تكون هذه القيادة متمثلة – عند عدم وجود حاكم – في أمير للجماعة تختاره وتبايعه على السمع والطاعة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أميرا وقائدا للجماعة المسلمة، ولكنه في مكة لم يكن رئيسا للدولة.

ولذلك فإن الاتجاهات والمذاهب الفقهية لا تسمى جماعات، لأنها ليست تنظيما، وكذلك الاتجاهات العقائدية أو الفكرية.

---

[273] انظر حديث رقم ٢ من هذا الكتاب.

[274] جامع الترمذي، كتاب الفتن، رقم الحديث ٢١٦٥، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

[275] صحيح مسلم، رقم الحديث ١٩٢٠.

ثانيهما: أن تكون إسلامية، وذلك من حيث أهدافها، ووسائلها، وفهمها الشمولي للإسلام، ولذلك فإن الجماعات التي لا تهتم إلا بجانب من جوانب الإسلام ليست هي "الجماعة الإسلامية" المقصودة في الأحاديث النبوية الشريفة.

وقد يقول قائل: إن هذه الجماعة غير موجودة. والجواب إن الأحاديث تؤكد أنها موجودة حتى تقوم الساعة، قد لا تكون في كل مكان، ولكنها موجودة، فما على الإنسان إلا أن يبحث عنها ويلتزم بها.

وحتى لو لم تكن موجودة فيجب عليه تأسيسها ودعوة المسلمين إليها.

وأما حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ [٢٧٦] " فإنه في الفتن إذا وقعت بين المسلمين ولم يتبين له أهل الحق من غيرهم [٢٧٧]، كما فعل بعض الصحابة في الفتنة بعد عثمان رضي الله عنه، أما في الحروب بين المسلمين وغيرهم على كافة الأصعدة التي تدور في كل عصر حتى تقوم الساعة فلا يجوز أن يعتزل المسلم في الجبال، ولا أن يقول: أنا مستقل لست مع هؤلاء ولا مع هؤلاء.

ثالثا: العبادة والعمل الصالح:

٩١. عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ [٢٧٨].

وفي رواية عند أحمد بسند حسن " العمل " بدل العبادة، والمقصود به العمل الصالح، أي العمل للإسلام، فهو من أعظم العبادات.

---

[٢٧٦] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٩.

[٢٧٧] انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٢/١٣.

[٢٧٨] صحيح مسلم، رقم ٥٢٤٢.

رابعا: الدعوة والإصلاح:

٩٢. عن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ [٢٧٩] إِلَى الْحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ [٢٨٠] الدِّينُ مِنْ الْحِجَازِ مَعْقِلَ الْأُرْوِيَّةِ [٢٨١] مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي [٢٨٢].

خامسا: سكنى الشام:

٩٣. عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ [٢٨٣].

٩٤. وعن بَهْز بْن حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ [٢٨٤].

٩٥. حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ الْحَضْرَمِيُّ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ حَدَّثَنِي بَحِيرٌ عَنْ خَالِدٍ يَعْنِي ابْنَ مَعْدَانَ عَنْ ابْنِ أَبِي قُتَيْلَةَ عَنْ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ

---

[٢٧٩] ينضم ويجتمع.

[٢٨٠] يتحصن.

[٢٨١] شاة الجبل.

[٢٨٢] جامع الترمذي، كتاب الإيمان، رقم الحديث ٢٦٣٠، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

[٢٨٣] جامع الترمذي، كتاب الفتن، رقم ٢١٩٢، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

[٢٨٤] جامع الترمذي، رقم ٢١١٨، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

أَدْرَكْتُ ذَلِكَ فَقَالَ عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ [٢٨٥].

انتهى الكتاب بحمد الله

[٢٨٥] سنن أبي داود ، كتاب الجهاد، رقم الحديث ٢٤٨٣، وأحمد، وابن حبان، وصححه الألباني.

أهم المراجع

١. مصادر الحديث النبوي، وبخاصة الكتب الستة ومسند أحمد ومعاجم الطبراني.

٢. فتح الباري لابن حجر.

٣. التاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصيف.

٤. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة لمحمد صديق حسن.

٥. الأساس في السنة / قسم العقائد للشيخ سعيد حوى.

٦. كتاب السنن الواردة في الفتن، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ).

٧. مقالات في المجلات الإسلامية.

الفهرس